



رحم الله أبا حسان ، عندما غادر (الشارقة) أو أبعد عنها - والأسباب معروفة - ذكرته لإحدى الجمعيات الإسلامية لتنستفيذ من علمه وتجربته ، ولم أكن أعلم أن المرض قد نشب في جسمه ، وأنه رجع إلى الطائف التي عاش فيها أكثر حياته العلمية ليغادرنا ويدفن فيها ، ولم يعد إلى بلدته في سوريا (رنكوس) هكذا قدر على كثير من علماء سوريا ودعاتها الذين غادروها في السنتين من القرن الماضي ، قدر عليهم أن لا يعودوا إليها خاصة في أواخر أعمالهم ليعيشوا بين أهليهم وأقاربهم وإخوانهم ، وربما يكون هذا شيء طبيعي في الظروف التي عاشها ويعيشها الشعب السوري الذي كتب عليه أن يتبنى بفرقة باطنية لا تعرف معنى الإنسانية فضلاً أن يكون فيها شيء من العروبة أو الإسلام .

العالم يستطيع أن يبيث علمه في أي مكان يجد فيه الفرصة المناسبة ، هكذا كان بعض العلماء السابقين يرحلون من بلد ليس فيه استقرار إلى بلد آخر يجد فيه الأمان كما حدث للإمام الجوياني عندما غادر نيسابور واستقر في مكة وبقي فيها أربع

سنوات ولذلك لقب بـ (إمام الحرمين) والذين غادروا سوريا من العلماء والدعاة كان ذلك بعد أن تحكم العسكر والباطنيون بمقدرات البلد ، و لن تناح الفرصة للعالم العامل المستقل أن ينشط للعلم والعمل عند هذا النظام ، وإن خروجهم من بلد يتحكم فيه أرانب الناس ليس تهرباً من القيام بالواجب وحمل المسؤولية ، فقد أفادوا في البلاد التي استقروا فيها وكان لهم الأثر المحمود في ذلك . بالأمس غادرنا الدكتور محمد أديب صالح والشيخ محمد لطفي الصباغ وغيرهم وأمثالهم تفرقوا في البلاد فكان لهم تلامذة نهلوا من علمهم وتآدواها بأدابهم .

في عصور المحن والابتلاءات ينتقل العلماء حيث يكون لهم الأثر في تثبيت الناس واعتصامهم بدينهم ، ويلجأ الناس إليهم في الملمات كما وقع في الأندلس في بداية تسلط الإسبان على المدن الإسلامية وكما جاء في سيرة ابن رشد (الجد) وابن حبيش وأبي الربيع الكلاعي اللبناني صاحب كتاب (الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا) وقد شارك رحمه في الدفاع عن المدن الإسلامية واستشهد في معركة (أنيشة) عام 634هـ .

رحم الله أبا حسان كم كان متواضعاً، فهو دائم الاعتذار بالتقدير وبقلة بضاعته، ولكن تحقيقاته ومؤلفاته تدل على فقهه وعلم وبصيرة. كنت أعلم منه ذلك فألححت عليه لتحقيق كتاب (حجۃ الله البالغة) للعلامة الهندي ولي الله الدهلوی، وذلك لمعرفتي بأهمية الكتاب وأنه من المؤلفات النادرة في العصر الحديث التي تتحدث عن أسرار الشريعة ولمعرفتي بصلة الشيخ أبي حسان بالكتاب وبمدرسة الدهلوی، وطلبت منه مع التحقيق التعليق خاصة أن الدهلوی رحمة الله له عبارات غامضة أحياناً هي بحاجة إلى توضيح وبيان، استجاب رحمة الله وحقق الكتاب ولكن دور النشر لم تكن ايجابية معه ثم نشر الكتاب والحمد لله. وللشيخ مؤلفات كثيرة أشهرها رسالة التحضر لنبيل الدكتوراه من الأزهر بعنوان (أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني) وإن إبراز فقه هذا الإمام هو بحد ذاته منقبة عظيمة، فكيف إذا كان الموضوع هو العلاقات الدولية التي يعتبر هذا الإمام ابن بجدتها ومؤسسها، وتقديرًا لجهوده في هذا المجال احتفى به نفر من علماء الغرب وأسسوا جمعية الشيباني للحقوق الدولية وهذا الإمام هو من كبار تلامذة أبي حنيفة رحمة الله وقد التقى به الإمام الشافعي وأخذ عنه واستفاد منه.

ومن مؤلفات أبي حسان رحمة الله:

مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية

الإسلام وعلاقته بالشائع الآخرى

حقوق الإنسان في الإسلام خلال الحروب والمنازعات

تحقيق تفسير البغوي بالاشتراك مع الشيخ سليمان الحرش

أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة، وغير ذلك من المؤلفات والتحقيقات والبحوث، والحقيقة هناك خشية من أن يكون من طبعتنا أن لأنقدر الإنسان إلا بعد وفاته، وكما يقول المثل الإنكليزي: لاتقاد الشجرة قياساً دقيقاً إلا بعد أن تقطع. رحم الله أبا حسان ورحم الله شهداء سوريا وأبطالها.

المصادر: